

النهضة الشرقية الحديثة

في بلاد الافغان

ماشيت آراء نخبة الافاضل في الاستفتاء المقدم من مجلتكم تحت عنوان « النهضة الشرقية الحديثة واظهر مظاهرها » وقد قدرت للاكتاب آراءهم ومباحثهم التي تتم على خبرة وطول باع . كما قدرت لمجلكم فتحها مثل هذا الباب الشيق . ولكن ردود الافاضل ، حصرت كلها في الشرق العربي ونهضته دون غيره . حتى ظلت الاستفتاء خاصاً بها ، ويتناولها وحدها دون بقية البلدان الشرقية . الى أن قرأت في العدد الاخير من مجلتكم . رد حضرة الاستاذ لطفي حجة وقد ان على نذ من النهضة الحديثة في مختلف البقاع الشرقية بلما الى اظهر مظاهرها في الهند واران . والبلاد العربية . ولم يشر اشارة ما الى البلاد الافغانية مهيط الرقي الحقيقي وبلاد الاستقلال التام . مما دلني على ان مصر وكبار وجالاتها قليلاً ما يعرفون عن هذه الامة العريقة . فبحثت على دون سابقة لاستيحاكم ابداء رأيي في هذا الباب فأقول

عندي ان اظهر مظاهر النهضة الشرقية هي تلك النهضة الصامتة التي تسير سيراً سريماً ومنتظماً ومطر دأ في بلاد الافغان حتى لاتضاهيها نهضة أخرى من النهضات الشرقية التي تبيأت لها اسباب كثيرة ولكنها اجنبية المتمد والمولد وناهيك ياسيدي ما بالاجانب من عنجية و صلف يشوه وجه مدينتهم الراقية ويترك في نفس الشرقي مخاضة وغصة ولتضرب مثلاً بتركيا فان مجاورتها لاوروبا ووقوعها في مركز تطاحنت فيه وعليه مطامع الاجانب جرها تسراً الى مياه هذا البحر الخضم وقد نالت كثيراً من الرقي ولكنها لا يبدؤ قديراً اذا توبل بصراع قرن كامل واذا قيس بما بذلته في ذلك السيل من الاموال و ارواح الرجال . وقد كان لتركيا ان تستفيق وتندبر امرها قبل نصف قرن من هذا التاريخ على الاقل

وكذلك مصر فانها طوت مرحلة طويلة من الرقي لا تنكر . على انا اذا قننا ما تكبدته من التجارب القاسية وجدنا ان نهضتها لا تتجاوز العشرين في المائة مع ان الذكاء المصري اجل من ان يمدح ويطرى . كيف لا وها مصر وترتها الفضة وحصاؤها

الذهب . وقد توافرت لديها النعم ودرمت في بحبوحة من الرخاء لم تحلم بها الى اليوم أكثر البلاد الغربية فضلاً عن الشرقية ، هي هي من حيث الاستقلال الصناعي مع انه أمر تيسر لا تيسر ولا متعذر . فإن معامل مصر واين صناعها واين شركاتها واين تجارتها ؟ اخرى بالمصري ان يدفع أوروبا بسلاحها الحقيقي وهو غير الدبابات والمدافع الصاهرات اعني السلاح الاقتصادي . فهل تقاعدت الايدي في مصر على هذا الدفاع الشريف وهل فكر مصري نعم بنعم ارضه ان يرضن بها على الاجنبى ويحفظها على الاقل لنفسه ؟ لا والله^(١) ! مع ان ما ينفقه المصري على فرشته الاوربي الوثير واثاثه الموشى بالدمقس والحرير وما يبذله في كل عام في مصايف أوروبا ومشايتها لوضن به ولو الى اعوام قلائل لتوافرت لمصر اموال تكفيها ان تهيب لضرورتها معامل قد لا يعصي القليل حتى تفيض مصوغاتها على الهند والسودان وسورية . وعندى ان أوروبا جيبها قد لا تطيق مثل هذه الحرب الاقتصادية الشعواء فلا يعصي القليل الا وراها تنزل من مالي سماتها لتصافح الشرقي وتماقده على معاملة الند للند والنظير للنظير واذا ابت الا التنطرس والفرور فللمصر من جنود السماء في أوروبا جيش كئيف يقيا شر ارباب الاموال ويثك باطباعها ، والعامل من اتخذ ابناء عدوه لتصرتيه وهل لنا خير من عمال أوروبا يصنغوننا منها

فم ان لمصر مطبوعات هي في الدرجة الاولى وقد جاهدت في تنوير الافكار وتثقيف العقول زهاء ثلثي القرن ولكن النتيجة الباهرة لتلك الثقافة لا تتجاوز الشرين في المائة في نظري . كيف لا ونحن في القرن العشرين ولا يزال لسبح بالحرب القلبية الشعواء بين القيمة والطربوش والعمه وبين الحجاب والسفور . اذا فتحن في ظلمة وتتقى بالثور فهل لمثل هذه المسائل من شأن مادي ومدني وأدبي وديني حتى تفرغ لها ونضيرها الشطر الاكبر من أوقاتنا

وهذه سورية شفيقة مصر قد اتخذت من المدينة قشورها ومن الغرب سفامفة ولم تكن تطبوعاتها على وفرتها من تنظيم فكرة صحيحة لها وتوحيد مشعب آرائها فكل رجل بها حزب وكل جرمة حكومة مستقلة . فبين ترى واحدهم يتنى بالجمهورية اذا بثانهم يتحادث في سبيل وتالهم ينزم بالعروش وأبانتها فلر تحريت قطب الدائرة بين تلك الافكار المتخادة لرأيت الوظيفة دون غيرها

(١) يظن ان حضرة الكاتب غير مطلع على اعمال بنك مصر (المتنطف)

(ثم استورد الى ذكر ما يتصور سبيل النهضة الصحيحة في جزيرة العرب ويران
ومخاري وخيوه وتركتان والهند)

ومع كل هذه النعائص لا أقدر إلا أن أقول أن في الشرق نهضة مباركة وحركة
تعمل وانتفاض مقدسة ولكنها تسير الهويانا اذا تساهلنا بآراء في بلاد الافغان مع أن
الفرق بين بلاد الافغان وسائر سكان الشرقين الادنى والاوسط بعيداً يئناً
اذا بسطنا الخارطة الافغانية أمامنا رأينا أن في الطبيعة لم تهب هذه البلاد موقفاً
تجغرافياً ممتازاً ولا طرقاً تجارية منظمة. بل جل ما في البلاد جبال تطاوح السحاب ولكنها
تحتضن أحد عشر مليوناً ومائتي الف من السكان. وجل ما عرف عنهم في الغابر أنهم
شعب شرقي منسج محارب متعصب متفان في تبصير. كانت تفترسه الثورات الداخلية التي
كان زكها طلاب العروش وقد قدر له أن يجاوره الاسد البريطاني من جنوبه والندب
الايض من شماله. ناهيك بهاتين الجارتين من الطمع ولكن التعصب المذموم في غير
موضعه كان حفيراً أداة لا يقاوم الاضي عند حده وصدده عن تلك الحياض ورده زهاء
قرن كامل. فما كان من كلتا الجارتين إلا أن عقدتا الايدي على خلق تلك الامة في جبالها
واستنصاع شأفة الحياة من جنوبها لغربتها، خلافاً لتزكيا ومصر ويران، حتى من شم
النسيم نسيم الحياة اترقية ومن سرفة ما في الشفة اثنائية من الارض من رقي وعمدن.
حتى أنه يوم احدثت الحرب الاوربية تلهم الاخضر وايباس لم يكن في بلاد الافغان
من يعرف عن أوروبا شيئاً إلا أفراد يعدون على الاصابع جلهم من البيت المالك
انتهت الحرب العمومية واشتهت معها حياة الملك السابق حبيب الله خان الذي
لم يعرف أن يستفيد من الفرص ليجحو عن نفسه وبلاده تلك الوصمة الاسمية وصمة
الحماية الخارجية. فقتل في مضرب بين أهله وصحبه في واد كان يصطاد فيه. وهنا
أبت المعبية الربانية إلا أن تمض هذه البلاد من كبونها وتصلح من شأنها وشأن الشرق
الاوسط. ففتح تاج الافغان عن نصر الله خان كبير العائلة وكان قد بايعة أكثر الناس
ومثل عرشه في اليوم السابع من اغتلائه له وكذلك منع التاج عن عنایت الله خان وكان
الناس يحسونه ولياً لهد آية وقد رآن يلبسه جلالة أمان الله خان ثالث أمجاد الملك
المقتول. وهنا تبدأ نهضتنا الجديدة



• جلالة ملك الافغان

سيقوم برحلة الى أوربا في ديسمبر . وهو روح النهضة الحديثة
في بلاد الافغان

مقطف نوفمبر ١٩٣٧

امام الصفحة ٢٨٨



قبل عشرة سنوات من هذا التاريخ أي يوم البيعة المشهود أخذ جلالة أمان اللهخان التاج من يد شيخ الاسلام وكان يحاور رضى على رأسه فرقة عالية بيده وقال مخاطباً جموع أبناء أمته

« اخواني وأبناء أمي شدمون لي تاجاً هو عندي من تيجان اللذلة والعار لان فوقه تاج يدعون أنه تاج الحماية وأنا لا اعترف بها فان بايمتوني على تاج تكفلون أتم حياتي بدمائكم ودمائي ذاتا خادم أمي ووطني الامين والا فهاكم تاجكم وعرشكم بايوا به من شتم »

في ذلك اليوم أعلن الاستقلال التام التاجز لجيخ البلاد الاتقانية قبل أن تبدأ المفاوضات وقبل أن تخرج الوزارات الى لوندرة وقبل أن يلبجأ أحد الفريقين الى شناق الحسام

أما الاستقلال التاجز الحالي من جميع شوائب الامتيازات فقد فتح القبول وأهبتها لنيل الماصلاحات الجديدة على يد ميكها ومرشدها واليك بعضها

١ - انتخ البرلمان الاضافي المسمى دار الشورى رسمياً في السنة الثانية مشتملاً على ٣١١ عضواً وكانت دورته الاولى ولا شك مؤلفة لخدم تعود الاعضاء مواقف الدقاع عن الامة . ولكن جلالة الملك كان يحضر جلساته بنفسه ويدبرهم كاحسن معلم على الحكم الذاتي واستقلال الفكر وذلك باناة وصبر وكان يشد كثيراً من سخيف الاقوال بالدلائل الصحيحة . وهذا انتهى ما قام به ملك من تلقاء نفسه حتى تدربت الامة على الاصول الاتقانية والحكم الذاتي وكانت لا تعرف شيئاً من ذلك

٢ - المعارف : وهذا لم يكن لها في الافنان من أثر الامدرسة واحدة كان يخرج منها الطلاب من الاتكار على مهلين من الخنود . وسواد الامة جاهل الجهل المطلق . ولا أقول ما عاناه جلالة الملك بنفسه وبقبسه في افهام الامة ضرورة العلم . وخصوصاً يوم كان المجلس يتنازع على قانون التعليم الاجباري . فكم رقب في أفراد أمته خطياً بين لهم بلسانهم القومي ضرورة التبرع باولادهم للتعليم مؤكداً لهم أن الحكومة ستقوم بجميع مهام التعليم ونفقاته وكان يناقشهم خصوصاً في ضرورة تعليم الفتيات مع أن ذلك كان أمراً عيباً عندهم لا عيب يفوقه . حتى نزلوا على ارادته لا عن اقتناع بل امتثالاً للامر

ولكن اليوم ومعارفنا في عامها انما شرء، أتم عدد ما افتتح في البلاد من المكاتب الابتدائية؟
١٢٠٠ مدرسة زولا فنجب اذا قلت لك ان الحكومة تقوم بنفقاتها حتى كتب الدراسة
والورق والاقلام والحبر . هذا عدا المدارس العالية وهي سبع في كابل . وسبع في
الولايات وقد أتمت دورتها التاسعة في هذا الحول ومملوها خليط من الافاغنة والالمان
والفرسيين والترک والمصريين وليس لاجنبي أدنى امتياز أو تفضيل على الوطني وهو
يسير وفق قوانين البلاد الداخلية وقد حجج الى هذه المدارس مئات من طلاب بخارى
وخيوه حتى ومن الهند نفسها

٣ — المالية : وهذه كانت اسماً بلا مسمى . وللقارىء وحده أن يقدر الصعوبة.

في خلق ميزانية جديدة لبلاد لم تألفها ولم تسمع بها ولكن اناس الضوا في السنة
الثالثة تطبق الميزانية حتى ليصروا الوزارة الآن بمرء الاثناء على غرض
يخصص عبثاً . وقد ظن كثيرون أن امتناع انكثرا بعد الاستقلال عن دفع
الانارة الحرية يحدث فراغاً في الخزانة ولكن خاب فألهم لأن تلك الانارة التي كانت
تستبض عنها انكثرا بضرب الضرائب الفادحة على الصادر والوارد من المتاجر
الافغانية عادت الى جيوب الافغان أضافاً مضاعفة حتى أن دخل الحكومة الذي كان
لا يزيد على ثلاثة ملايين جنيه في السنة بلغ في السنة التاسعة ثمانية ملايين جنيه خصص
منها المعارف ما يزيد على المليون ونصف المليون

٤ — تنظيم الخارجية : والخارجية التي لم يكن لها في العهد السابق الا ادارة صغيرة
يشرف عليها مدير يحفظ الاوراق الرسمية أصبحت الآن وزارة كبيرة تشغل عمارة عظيمة
وتتألف من ست عشرة شعبة واحدى عشرة ادارة . وأول ما فتمت ارساها البعث الى أوروبا
والشرق البعيد والقرىب . ولما اليوم تسع سفارات في الخارج واحدى وعشرون
قنصلية تقوم بمهامها . ومع أن الافاغنة لم يسمروا على الاعمال الخارجية كما يجب لم تجز
عليهم أساليبها الخداعة وقد خصصت ميزانية هذا العام بلفاً لانتاح سفارة للافغان
في مصر . ولعل الخبارات بين البلدين تنتهي عاجلاً

٥ — الصناعة : ان رقي الافغان الصامت هو حقيقة الرقي بينها فعامل الحديد
وسامل الاسلحة والطائرات والمنسوجات النطنبية والصوفية وسامل أسلاك الكهرباء
والتلفون ومعامل الكبريت، كلها على أعما مع أنها وليدة ثمانى سنوات لكنها كفت

الافغان مؤونة ايتباع هذه الاشياء من الخارج . وحفظت البلاد ملايين جنبها التي كانت تنسرب الى جيوب الاجانب . وأما المعادن وقد كانت كثرة البخيل عبوة في طبقات الارض أخذت تستخرجها الحكومة من تلقاء نفسها تحت اشراف نخبة من مهندسي الاميركان والامان . وقد باعت في السنة الماضية ثلاثمائة طن من الالزورد في أسواق اميركا . والبحث عن البترول أصبح ذا شأن عظيم وأما الفحم الحجري فقد وجد انه عروق قد لا تضرب في سنين كثيرة . وكذلك النحاس والياقوت سيكون أعظم ما تملكه البلاد من الثروة الطبيعية . وأما الصادرات فن أعظمها اليوم قرو والاسرخان المعروف (بالقره قولي) في الافغان وهذا لا يقل المصدرة عن مليون جلد تبيان قيمة الجلدين الجنيين والثلاثة جنبها وهي تباع رأساً في أسواق نيويورك ولوندره . وللافغان في أوروبا يموت من الطلاب تربي على ثلاثمائة طالب ليس بينهم الا خمسة طلاب يدرسون الطب وثلاثة الحمامة والباقيون يدرسون الصنائع علمياً وعملياً خلافاً لبقية يموت الشرق الذين لا نجد في ائف منهم الا نروراً يسيراً يقبل على الصناعة

وأما سياستنا فحاشا قاطعة لا تعرف معنى الارهاب ولا تتدثر بأثواب الرياء بل تظن الامة الافغانية بين كل فترة وأخرى على لسان مليكها انها شرقية وبها مصير كل أمة شرقية حتى انها اشترطت في معاهدتها مع روسيا الاستقلال التام لبخاري وخيوه وقد نزل الروس صاغرين على هذا الشرط لما يشاءوا من المراوغة التي لم تجد لهم نفعاً . ولكنهم اغتموا الجهل البخاري وحلوا الاحالي على ان يوقموا صكاً يعترفون به بارتياحهم لشكل حكومتهم الوطنية

وأما اخلاق الامة الافغانية فقد غلب عليها بعد الانقلاب الاخير الرصانة والسكون وتلصق ابواب الرقي بضمث وثبات . وقد لبسوا جاهم القبعات الاوروبية ولم يقل احد منهم ان هذا يخالف الدين . وباحوا الصفور لمن شاء والتعجب لمن شاء فتركة البض وعمك يد آخرون

أما هذا التطور ياسيدي لم يكن من الهنات الهينات بل عرقنا دونه الاحوال وقد خضنا بعض انقلابات وثورات دموية لدره الفئة الرجعية . ولكن اذا امتدح النبوغ الافغاني فليستدح مليكة المجدد الذي اجيا تلك الامة الميتة . ولم يقنع من الملك باهتد فترك الرسميات وقام يشغل فوق منصبه المقدسة منصب رئيس الوزارة المشغول . وقد

شهدته أول البارحة يأتي خطبة من خطبه المشهورة في سكان كابل يسطر لهم الكلام عن سفرة قام بها في الجنوب لتفقد الحراج استجدة . ورائه لا أقول إلا الصديق قام ذلك الملك العظيم بلباسه العادي يحطب ساعتين وخمس دقائق بصوت جهوري لا يمتوره ملك ولا كلل يلقى خطبته وظاهرها بيان تلك الرحلة وباطنها درس علمي كان يلقى على أفراد امته يعرف كلا حقوقه الذاتية وواجباته الوطنية أزاء الحدود المنصوبة سالفاً في الاقنن وخطورتها . وما من يوم إلا وله مثل هذا الموقف . وإذا حلت نفسه العظيمة فقد لا تجد فيها شيئاً من الانانية والمنجبية حتى لينج عباراته دائماً بكلمة (اتقدم لكم وأنا واولادي فداء رقبكم)

فهذه يا سيدي عندي أظهر مظاهر النهضة الحديثة وبمثلا نهما الامم . ومن يشك في ما سردته فليفضل ويقبل ضيافتي ليشهد كل ذلك بعيني رأسه

أ - الكندي

التباين الخلقى

تأثير العوامل الباطنية الموروثة

اجلنا الكلام في بحثنا الاول^(١) عن العوامل الطارئة على النفس التي من شأنها التأثير في الاخلاق تأثيراً محسوساً يوجهها الى وجهات شتى متباينة متناقضة منها ما هو حميد محبوب ومنها ما هو ذميم مستهجن كمواصل البيئة والنادة والتربية والتعليم وانماء الارادة والميل وغيرها . ونرى الآن من المفيد تسمية لقائنا التكلم عن الطبيعة الباطنية الموروثة الخاصة بكل نفس والتي تدفع بصاحبها الى ميول ذاتية قد تختلف عن ميول الغير حتى وان كان شقيقاً ، وتظاهرة باخلاق خاصة وارادة خاصة وافكار واعمال وخطط خاصة به دون شقيقه فنقول :

كانت الفلسفة في العهد السابق وعلى الاخص في القرون الوسطى ترجع التباين الخلقى لدى الافراد الى الامزجة واختلافها في كل فرد فكانوا ينسبون الى اصحاب المزاج اللعقاي مثل اميولا وطبايع واخلاقاً يعينونها وينسبون خلافها الى اصحاب

(١) انظر صفحة ٥٢٧ من مقتطف مايو ١٩٢٧